# المحظرة الموريتانية ودورها فى غرب أفريقيا

**محمدو بن محمدن**(*)

تسعى هذه الورقة إلى إثارة ملاحظات سريعة حول التعليم الأصلى فى موريتانيا، بهدف التعريف به، وإبراز أهم مميزاته، والتحديات التى تواجهه، والأدوار التى اضطلع بها تاريخيا، وتلك التى يمكنه القيام بها ضمن عملية التنمية داخل البلد.

## أولا : التعريف والتصنيف

نقصد بالتعليم الأصلى أو المحظرى ذلك النمط من التعليم الذى تقدمه مدارس أهلية طوعية قرآنية أو فقهية. وقد ظلت هذه المحاظر(١)- وهى مؤسسات ذات وظائف متعددة (اجتماعية وثقافية وتربوية)- تنشر المعارف العربية والإسلامية بمختلف فنونها فى ربوع الصحراء، ومنها فى المناطق الأفريقية المجاورة، ولا تزال المحظرة تضطلع بهذه المهمة فى نقاط عدة من موريتانيا مستقبلةً طلابا موريتانيين وغير موريتانيين يفدون إليها من كل فج، برغم قوة اكتساح منافستها المدرسة النظامية، وشح مواردها، وقسوة ظروف الدرس بها.

والمحظرة أو "المحضرة" فى اشتقاقها اللغوى اسم مكان (مفعلة)، يحتمل تفسيرات أيتيمولوچية عدة لعل من أكثرها وجاهة:

- أن تكون مشتقة من فعل "حظر"؛ أى منع بوسيلة مادية أو معنوية، فهى ماديا الحظيرة التى كثيرا ما كانت تحيط بخيمة شيخ المحظرة ومصلاه

---

* مدير مخبر الدراسات والبحوث التاريخية، جامعة نواكشوط، موريتانيا.

وعرائش طلبته لحمايتها من الحيوانات وغيرها. وتقام هذه الحظائر عادة فور حلول المخيم بأى مكان جديد يتم النزول فيه.

أما من الناحية المعنوية، فقد يتصل هذا الاشتقاق بالحظر الذى يمارسه الشيخ على الطالب المحظرى بمنعه من التجوال داخل الحى والاختلاط بأهله والانغماس فى مشاغلهم الدنيوية، وإلزامه بالإقامة فى أعرشة الطلبة والتفرغ للعلم؛ أو هو متأت من الهيبة والحماية الروحية التى يتمتع بها شيخ المحظرة ومؤسسته وطلابه. وتقتضى هذه الحماية حظر ارتكاب المخالفات بحرم المحظرة، وحماية من يلجأ إليها، حتى يكون فى مأمن من النهب والسلب وغيرهما من الممارسات التى كانت شائعة فى المنطقة فى خلال القرون الماضية.

وبالعودة إلى القواميس نجد لفظ "احتظر" بكذا؛ أى احتمى به[٢]. وقد كانت المحظرة منذ نشأتها ملجأ الخائف وملاذ المستضعَف من غارات النهابين والظلمة.

– أن تكون مشتقة من فعل حضر؛ أى مكان حضور المحاضرة، وقد يكون هذا الحضور كذلك ماديا أو معنويا، فهو مادى لأن الطالب يحضر بجسمه محاضرة الأستاذ، ومعنوى لأن فيه تجردا من الدنيا وهمومها، وإقبالا على التعلم والتعليم خالصا لوجه الله تعالى.[٣]

ويدعم هذا الاشتقاقَ الأخير ورودُ كلمة محضرة فى بعض كتب التراث العربى الإسلامى دالة على معنى المدرسة؛ كما هو الشأن فى رحلة ابن جبير،[٤] ومعيار الونشريسى[٥]. وقد كان هذا الانسلاخ عن مشاغل الحياة الدنيا والحضور المادى والمعنوى للعلم الشرعى لصيقا بالمقصد من وراء إقامة التعليم الدينى بهذا "المنكب البرزخى"[٦].

وسنحاول فى هذا العرض تقديم تصنيف إجرائى لهذه المدارس قد لا يتفق تماما مع تصنيف القطاع الوصى الذى يقسمها إلى ما يأتى:

- محاظر جامعة.
- محاظر متخصصة.
- محاظر قرآنية.

ذلك أن هذا التصنيف يثير بالنسبة إلينا استشكالين أساسيين، يتعلق أولهما بالمحاظر المتخصصة؛ إذ إن هذا المصطلح فى اعتقادنا لا يصدق إلا على المحاظر الفقهية.

أما الاستشكال الثانى فيتعلق بالدمج بين المدارس القرآنية (التى تقتصر على تعليم مبادئ الكتابة والقراءة وتحفيظ نص القرآن الكريم، والتى لا تختلف عن الكتاتيب المعروفة فى مختلف البلاد العربية)، والمحاظر القرآنية.

وحسب اعتقادنا فإنه يتعين مراجعة هذا التصنيف على نحو يضع فى الحسبان مستوى شيخ المحظرة وطبيعة المقررات الدراسية المعتمدة بها والجمهورَ المستفيد منها.

وانطلاقا من ذلك يمكن تصنيف التعليم الأهلى فى موريتانيا إلى صنفين رئيسيين هما:

**١ - المدارس القرآنية:**

وتنحصر وظيفتها فى تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين، وتحفيظ النص القرآنى فحسب. ونحن نرى ضرورة إخراج هذه المدارس من التصنيف المحظرى مراعاة للاصطلاح المحلى الذى يخرجها من دائرة التعليم المحظرى ويميزها بمصطلح "قراءة اللوح" أو "اللوح" الذى يختلف عن المحظرة فيما يأتى:

- قسرية برنامج التعليم.

- فردية التعليم.

- صغر سن المتعلمين غالبا.

ويمتاز هذا الصنف من المدارس بانتشاره الواسع فى البلاد، بحيث لا يخلو حى بدوى من مدرسة أو مدارس منه؛ وهو مما يعكس مدى إسهامه فى نشر مستوى أولى من التعليم بين السكان.

**٢ - المحاظر:**

ويمكن تصنيفها تبعا لمحتوى المادة العلمية المدرّسة، ومؤهلات الشيخ العلمية، ونوعية الطلاب، إلى مستويين اثنين هما:

**أ- المحظرة الفقهية:**

وتختص بتدريس علوم القرآن والفقه والعقيدة، فشيخها قادر على تدريس علوم الغاية دون سواها. وهذا الصنف من المحاظر هو الذى يستحق حسب اعتقادنا - صفة المحظرة المتخصصة، سواء تحدثنا عن تخصص عمودى يراعى مستوى الدرس بهذه المحظرة، أو عن تخصص أفقى ينطلق من حصر المضمون المعرفى.

**ب - المحظرة الجامعة:**

وهى التى تجمع بين علوم الغاية وعلوم الآلة معا (تجويد، وتفسير، وحديث، وأصول، ونحو، وبلاغة، وحساب، ومنطق،... إلخ)، ولا ينتصب للتدريس فى هذه المحاظر إلا شيخ متبحّر فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية.

وهذا الصنف من المحاظر هو الذى أعطى هذا الركنَ القصى من ديار الإسلام صيتَه العلمى، بما احتضن من جدالات علمية خصبة، وبما أنتج من تآليف أصلية، تتنزل الأحكامَ الشرعية على الوقائع اليومية لحياة البداوة[٧] والسيبة، وبما أصدر من خريجين ذاع صيتهم فى العالم الإسلامى.

**ثانيا: النشأة والتطور**

إن فهم الدور الذى يمكن أن يضطلع به التعليم المحظرى فى نشر المعرفة أفقيا داخل البلاد خدمة لمتطلبات التنمية، يقتضى النظر إلى ظروف نشأته والمراحل التى مر بها.

ولا يُستبعد احتمال ظهور مستوى ما من التعليم الدينى فى صحراء الملثمين مع دخول الإسلام إليها أواسط القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى. ويُفترض أن يكون التجار قد اضطلعوا بدور بارز فى هذا الصدد؛ إذ تمكنوا من ترسيخ الاهتمام بالقراءة والكتابة، وبث الوعى الدينى والخلقى.

وبغض النظر عن رباط عبد الله بن ياسين (ت. سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م) التعليمى، فإن الشائع فى الروايات الشفهية المتداولة حتى الآن أن الأمير اللمتونى أبا بكر بن عمر (ت. سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) بعد انفصاله عن ابن تاشفين (ت. سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م) بالمغرب، وعودته إلى الصحراء، جاء معه بفقهاء[٨] لتأسيس مدارس فى هذه المنطقة، ربما تكون هى البذور الأولى للمؤسسات المحظرية التى ميزت التاريخ الموريتانى منذ دلك الحين، وإلى يوم الناس هذا.

وتسمح المعطيات المتوافرة حتى الآن باعتماد تحقيب أولى قد لا يخلو من تخمين لتاريخ هذا التعليم، نوجزه فيما يأتى:

١ – مرحلة المدن :

يعتقد بعض الدارسين[٩] أن النشأة الفعلية للمحاظر بصحراء الملثمين تعود إلى ظهور الدعوة المرابطية بها؛ إذ "**كان العلم حضريا فى عهد المرابطين وقرونا من بعدهم**"[١٠]، كما يقول الخليل النحوى الذى اختار لهذه المرحلة عنوانا له دلالته هو: "الحواضر مهد المحاضر"[١١]؛ ذلك أن حواضر مثل أوداغست وتينكى وولاته وتيشيت ووادان وشنقيط كانت مراكز علم مكينة احتضنت المؤسسات المحظرية الأولى فى هذه "**البلاد السائبة**"[١٢].

وكان معظم تلك المدن واحات ومراكز تجارية اضطلعت أيضا بأدوار تجارية مهمة؛ إذ كانت من المحطات المهمة فى مسالك التجارة الصحراوية[١٣]. وقد عرفت هذه الحواضر فترات ازدهار اقتصادى، يرجح أن تكون لها صلة بالنهضة العلمية والأدبية بها؛ "**إذ لابد لكل ثقافة من فائض اقتصادى**" مادام أن الثقافة "**استهلاك، بل هى إسراف**"[١٤]، وفق تعبير فرديتان بروديل (Braudel)، وحسبما كان ابن خلدون قد أشار إليه، حين عد ضعف العمران وانقطاع الدعم عاملا فى عوامل الركود الثقافى على عهده[١٥].

٢ – مرحلة البادية:

إذا كانت المحظرة قد نشأت – منذ المرحلة المرابطية على الأقل – فى الحواضر؛ فإنها سرعان ما أصبحت مؤسسة تربوية بدوية من حيث الأساس؛ إذ انتشرت من المدن إلى الأرياف مغطية المجال الشنقيطى الفسيح، من ضفاف المحيط الأطلسى إلى أزواد، ومن نهر السنغال إلى الحدود الجزائرية والمغربية.

وفى أرجاء الصحراء الموريتانية المترامية الأطراف، وعلى ضفاف المحيط والنهر، تكاثرت المحاظر، وتشعبت، وأصبحت بمثابة "**جامعات بدوية**

**متنقلة**"[١٦] على ظهور العيس، تَعرف نوعا من الإبـداع والإنتـاج العلمـى والأدبى فى محيط بدوى لا عهد له بالدولة المركزية، ولا وجود فيه للعمران.

وهكذا عُرفت – أول مرة فى التاريخ على ما يُعتقد – أولُ بادية تتعـاطى الثقافة العالمة درساً وتأليفا؛ إذ احتضنت هذه البادية "**مجموعة البداة الوحيـدة التى تملك تقاليد ثقافية مكتوبة، فى حين يعيش الآخـرون** [أهـل البـوادى الأخرى] **عالة على أهل المدن**"[١٧].

وقد لاحظ بعض الدارسين هذه الخصوصية التى ميزت سكان الـصحراء الموريتانية عن غيرهم من سكان المنطقة، حين تحدثوا عن مظاهر من الثقافة العالمة فى هذه البادية؛ يقول الرحالة الفرنـسى كـاميّ دولـس ( Camille Douls): "**إن البيضان يتخذون من خيامهم أكاديمياتِ حقيقية**"[١٨]. ويمضى هذا الرحالة الذى زار المنطقة سنة ١٨٨٧م قائلا : "**إن جميع هـؤلاء البـداة تقريبا يتعاطون كتابة العربية**"، مؤكدا أن "**المعرفة والذكاء اللـذين يميـزان هؤلاء البدو يبلغان درجة من التطور تُعدّ مفارقـة لمـا يطبـع المـسلمين المقيمين بإفريقيا الشمالية**"[١٩] .

وينحو المستشرق الفرنسى رنى باسى (René Basset) المنحى نفـسه، حين يجزم "**بأن لدى البيضان ثقافة أدبية أرقـى ممـا لـدى جـل سـكان الجزائر**"[٢٠].

وهكذا فإذا كانت البادية فى عرف الدارسين – منذ ابن خلدون حتى اليوم – تعد بيئة غير صالحة للإنتاج الفكرى ناهيك من الازدهار العلمى والفنـى، فإن واقع المحاظر التى ميزت بوادى موريتانيا منذ القرن السابع عشر، وواقع الحواضر الإسلامية فى الفترة نفسها، يُبيّن أن البادية ليست دائما رديفة الجهل والأمية، كما أن المدينة لا تساوى بالضرورة الازدهار المعرفى. فما سـمات تلك المدارس البدوية؟

**ثالثا: السمات العامة للمحظرة**

تميزت المدارس التقليدية فى موريتانيا بميزات، لعل من أبرزها:

**١- الحرية:**

فالطالب المحظرى يتمتع بحرية اختيار:

- المحظرة التى سينتسب إليها.
- الشيخ الذى سيدرس عنده.
- المادة والمتن اللذين يرغب فى دراستهما.
- الفترة الزمنية الملائمة لدراسته.

وتسمح هذه المساحة الواسعة من الحرية بمستوى من تحقيق الذات، يجعل جل الطلاب يتعاطفون تعاطفا وجدانيا مع محيطهم المحظرى.

**٢- المساواة:**

فالمحظرة تكاد تكون الفضاء الوحيد الذى تذوب فيه مختلف أشكال التمايز الطبقى والعرقى؛ إذ يتحدد الانتساب إليها بالرغبة والاستعداد من دون اعتبار المكانة الاجتماعية أو فوارق السن، فالرجل الطاعن فى السن قد يدرس مع الشباب، كما أن الشاب اليافع قد يتولى تدريس من هم أسنّ منه.

هذا فضلا عن عدم اعتبار المستوى المادى؛ إذ لا فرق بين غنى وفقير، بل إن المحظرة طورت آليات تبناها المجتمع مع اختلافات جزئية بين نواحى البلاد، لعل من أهمها:

- "**التأبيد**" الذى يقتضى التكلف بالطالب المغترب أو المعدم.
- "**الختمة**" التى تُوجب تقديمَ هدايا للتلاميذ، كلما تقدموا مراحل معينة فى دراستهم.
- "**شاة التلاميذ**" التى تُقدم لهم فى مناسبات اجتماعية معينة (الزواج أو العقيقة).

وتجسد هذه "**الحقوق**" مستوى ما من التكافل يضمن التعليم لمن يرغب فيه.

٣ - **المجانية:**

- الانتساب إلى هذه المدارس لا يتطلب رسوما.
- الميسورون يدرسون على نفقة ذويهم.
- المعدمون ينفق عليهم شيخ المحظرة، أو بقية الحىّ، أو يتقاسمون مع زملائهم الميسورين. وتجسد هذه "**المجانية**" درجة ما من التآزر الاجتماعى.

غير أن هذه المزايا يجب ألا تحجب عنا جملة من المآخذ على التعليم المحظرى، يمكن إيجازها فى النقاط الآتية:

- عدم العناية، فى الأغلب، بلغة التدريس.
- الإذعان التام، فى الأغلب، للوثيقة المكتوبة وإعطاؤها قدسية تحول دون نقدها.
- ندرة التأليف، والتركيز على الشروح، وعلى عقد النصوص النثرية بالنظم.
- التسرع أحيانا، وعدم النسبية فى رؤية المسائل التى تحتمل عدة أوجه.

**رابعا: الأدوار التى اضطلعت بها المحظرة**

تعد الوظيفة الأساسية لهذه المدارس هى نشر العلوم والأخلاق الإسلامية، بما يقتضيه ذلك من التركيز على ما يعرف بعلوم الغاية (القرآن، والفقه، والعقيدة، والحديث)، غير أن استيعاب هذه العلوم يستدعى بالضرورة معرفة بعلوم الآلة، خاصة العلوم اللغوية التى يتوقف على معرفتها فهم النص الدينى من قرآن وسنة.

وقد أدرك الموريتانيون ما لعلوم الآلة من قيمة فى استيعاب العلوم الشرعية، ففضلوا الاشتغال بها على الاشتغال بالعبادة؛ يقول الشيخ محمدن بن متالى (ت. سنة ١٢٨٧ هـ/١٨٧١م) فى هذا الشأن:

تعلمَ اللغة شرعا فضل  على التخلى لعبادة الجلى

يؤخذ ذا من قولهم وعلما  آدم الأسماء الزم التعلما[٢١]

غير أن للمحظرة أدوارا أخرى تتعدد بتعدد وظائف شيوخ المحاظر وغيرهم من علماء هذه البلاد وفقهائها الذين يقومون فى الوقت نفسه بالوظائف الآتية:

- التدريس.
- الإمامة.
- التوجيه.
- الدعوة والوعظ.
- التربية الروحية (مشايخ طرق صوفية).
- القضاء.
- الإفتاء.

وهم إلى ذلك يضطلعون بالمهام الآتية:

- مستشارون لدى الأمراء.

- كتبة للأمراء، وتظهر غالبا بصماتهم على مختلف مراسلات هؤلاء الأمراء.

- وسطاء فى النزاعات والحروب الداخلية.

- مجاهدون ضد احتلال النصارى للمسلمين.

- هم سياسيون يدعون إلى إقامة السلطة الإسلامية.

وانطلاقا من وظائف المحظرة الشنقيطية المشار إليها سابقا كانت هذه المؤسسة فى وقت واحد أداة لصيانة التراث، وقلعة للدفاع عن الأرض والإنسان.

١ - **المحظرة** وصيانة التراث:

كانت المحظرة رمز الثقافة العربية الإسلامية، فهى المنبع الروحى الأوحد الذى يحترمه العدو والصديق، ويهابه السارق واللص والمسالم والمتجبّر والفقيه العابد والأمير الجائر، على حد سواء. وذلك ما جعل حكم الفقيه فى المنازعات ماضيا - فى الأغلب - يخضع له الجميع(٢٢). وبرغم قوة منافستها المدرسة الجديدة التى روجت لثقافة المستعمر الوافدة؛ فإن المحظرة كانت وسيلة للدفاع عن التراث وحمايته، وحسب اعتراف الفرنسيين أنفسهم "**مثلت المحاظر خلال الفترة الاستعمارية قلعة حصينة للصمود والمناعة الثقافية**". وظلت المحظرة حاملة مشعل الثقافة العربية الإسلامية فى البلاد الموريتانية تنشرها وتدرّسها وتدافع عنها. يقول أحد الفرنسيين: "لقد ارتصب فى مواجهتهم [يعنى الفرنسيين] **عدو قديم وقوى هو تعليم المحاظر الذى يتطلب قهره تبنى سياسة مدرسية حكيمة وبذل مجهودات كبيرة**"(٢٣).

وهكذا، فبفضل التنشئة المحظرية، ورواج أطروحات هذه المؤسسات الثقافية، امتاز الموريتانيون بالتشبث بقيم دينهم، والتمسك بموروثهم الثقافى،

والاعتزاز بتاريخهم وثقافتهم، والاحتفاظ بهويتهم المميزة. والفرنسيون أنفسهم يؤكدون هذه الحقيقة؛ يقول أحد الإداريين الفرنسيين فى هذا السياق: "**لقد وجدنا** [فى موريتانيا] **شعبا له ماض من الأمجاد والفتوح، لم يغب بعد عن ذاكرته، ومؤسسات اجتماعية لا نستطيع أن نتجاهلها. إن علاقات تضامن وثيق تسود بينهم برغم بداوتهم وتمزقهم**"(٢٤).

وقد ساعد الدرس المحظرى، وما يتطلبه من متون دينية، وما يتحلّى به القيّمون عليه من أخلاقيات، على حفظ التراث العربى الإسلامى وصيانته، فى هذه الثغور الشنقيطية المرابطة. ذلك ما يؤكده الدكتور محيى الدين صابر حين يقول: "**إن الثقافة العربية التى أثرت عن المدن التاريخية الموريتانية إلى عهد قريب، كفلت للتراث الإسلامى العربى البقاء والاستمرار، من خلال المؤسسات التى ينتجها المجتمع الموريتانى، سواء فى المراكز العلمية المستقرة أو المتنقلة التى يمثلها نظام المحاظر**"(٢٥).

ويعترف أحد الفرنسيين الذين حكموا موريتانيا إبان الفترة الاستعمارية، بنجاح المحظرة فى تأدية رسالتها الحضارية، مؤكدا أن "**المحاظر قد تمكنت، على العموم، من الصمود فى وجه الغزو الثقافى الأجنبى، واضطلعت برسالتها المتمثلة فى صيانة تراث ثقافى يمثل بالنسبة لها مدعاة فخر واعتزاز**"(٢٦).

ويتأكد هذا الفخر والاعتزاز فى هذين البيتين اللذين مثلا شعار هذه المدارس المتنقلة على ظهور الإبل:

ونحن شعب من الأشراف معتكف  أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة  بها نبين دين الله تبيانا(٢٧)

وطبيعى أن تمثل التعاليم الدينية والأخلاقية التى بثتها المحاظر وعممتها داخل هذا القطر – وفى الأقطار الأفريقية المجاورة أحيانا – صمامَ أمان ضد مخاطر الغزو الثقافى الأجنبى، وذلك بما ترسخه من مناعة ضد ثقافة المستعمر وحضارته المادية الغازية، وضد مدرسته البديلة، ذلك ما يصرح به الفرنسيون أنفسهم على لسان رئيس مصلحة التعليم الابتدائى شينيو (Chaigneau) فى تقرير بتاريخ غرة أكتوبر سنة ١٩٣٤م حين يقول : "**إن البيضان، وقد اعتنقوا الإسلام منذ عدة قرون، كان من بينهم، ومازال، علماء وفقهاء معروفون فى جميع البلاد الناطقة بالعربية. ونحن نتفهم كونهم – غيرة على ماضيهم – لا ينظرون إلى حضارتنا بحماس، فالثقة بيننا معدومة الآن**"(٢٨).

**٢ – المحظرة قلعة لمقاومة التوغل الاستعمارى:**

شعرت الأرستقراطية الدينية – وهى المسيرة للمحاظر والمشرفة عليها – مبكرا (على الأقل منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر) بخطر التوسع الفرنسى المتزايد فى حوض نهر السنغال. ولقد اضطلع شيوخ المحاظر وخريجوها من فقهاء وعلماء بدور كبير فى التحذير من هذا الخطر المحدق، ودعوا إلى مواجهته بالوسائل المتاحة قبل فوات الأوان.

ويمكن أن نسوق نماذج من مواقف زعماء هذه الأرستقراطية المعارضة لمسار التوغل الفرنسى داخل البلاد. وقد تجلت تلك المعارضة خصوصا من خلال ما يأتى:

**أ – عرقلة الاستكشافات الفرنسية:**

من أوضح الأمثلة التى يمكن إعطاؤها فى هذا الصدد، موقف القوم من الرحالة الفرنسى رنى كايّى (René Caillié) فى أثناء تجواله فى منطقة البراكنَة بالوسط الجنوبى من البلاد الموريتانية سنتىْ ١٨٢٤ و١٨٢٥م؛ إذ لم

ينج هذا المستكشف من موت محتوم لولا إيهامه السكان أنه يدعى عبد الله، وأنه مولود فى مصر من أسرة عربية، وأن فرنسيين شاركوا فى حملة نابليون على مصر عادوا به إلى فرنسا، وهو حينها لا يزال صبيا، وأن سيده الفرنسى أرسله فى بعثات تجارية إلى السنغال وأعتقه مكافأة له على خدماته، وبما أنه استعاد حريته فهو يسعى للعودة إلى وطنه مصر، للقاء أهله وممارسة شعائر دينه(٢٩).

وبرغم تظاهره باعتناق الإسلام وادعائه الانتماء إلى أصول عربية، فقد ظل ذلك الرحالة الفرنسى مثار شك، واتهم أكثر من مرة بأنه جاسوس للنصارى جاء ليحمل إليهم أسرار البلاد والعباد.(٣٠)

كما أن رجال الدين قد أفشلوا، خلال ربيع عام ١٨٦٠م، مهمة نقيب الأركان العامة المستكشف هانرى فينصان (Vincent) مبعوث الوالى الفرنسى إلى السنغال الجنرال فيدرب (Faidherbe) إلى منطقة آدرار بالشمال الموريتانى، بغية جمع المعلومات عنها، ومحاولة الوصول إلى مدنها التاريخية، وتوقيع اتفاقية تجارية مع أميرها، بل إن المشايخ اقترحوا على الأمير قتل هذا الضابط الفرنسى(٣١).

**ب – محاولة توحيد الجبهة الداخلية ضد الخطر الأجنبى:**

حذر شيوخ المحاظر مبكرا من احتمال غزو "النصارى"، ودعوا إلى التعبئة، وإلى الجهاد ضد هذا الغزو، بل إنهم حاولوا تنسيق جهود مختلف جيوب المقاومة.

وتدخل فى هذا النطاق مساعى الشيخ سيدى الكبير (ت. سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٨م) التى توجت باجتماع تندوحَة(٣٢) سنة ١٨٥٦م، وقد حضره أمراء البراكنَة والترارزَة وآدرار وممثل عن إمارة إدوعيش، وهى الإمارات الأربع التى كانت تتقاسم وقتئذ السيادة على البلاد الموريتانية الحالية.

وجاءت مبادرة عقد هذا الاجتماع بعد اندلاع الحرب بين أمير التـــرارزة محمد الحبيب (ت. سنة ١٢٧٧هـــ/١٨٦٠م) والوالى الفرنسى على الـــسنغال الجنرل فيدرب، وهى الحرب التى سعى الفرنسيون من ورائها لبسط نفـــوذهم على الضفة اليسرى لنهر السنغال، وتغيير شروط التبادل مع البيضان بالضفة اليمنى.

ولم يكتف الشيخ سيدى الكبير بجمع الأمراء، ومحاولة إقناعهم بإصـــلاح ذات البين، وتوحيد الصف ضد الفرنسيين، بل إنه عمل على تـــوفير العتـــاد للمقاومة، محاولا تصنيع البارود محليا. ولا تزال الـــذاكرة الـــشعبية تحـــتفظ بتسمية "**أعليب البارود**" إشارة إلى المكان (الكثيب) الـــذى تمـــت فيـــه تلـــك المحاولة. كما طلب هذا الشيخ من الملك المغربى المولى عبد الرحمن تزويده بالأسلحة. وفضلا عن ذلك فإن بعض المشايخ قد دفع الأمراء إلـــى مقاومـــة الغزو الفرنسى.

**ج – تشجيع الأمراء ودعمهم فى مواجهة الفرنسيين:**

شجع العلماء أمراء البلاد على التصدى للفرنسيين، وأفتوا بوجوب دعـــم هؤلاء الأمراء بالمال والفتاوى بوصفهم أهل الشوكة ورأس الحربة فـــى أيـــة مواجهة ممكنة مع النصارى.

وقد أفادت من هذا الدعم بجوانبـــه الماديـــة والمعنويـــة والأرســـتقراطية العسكرية فى مختلف أنحاء الوطن؛ إذ تمكن الأمير البركنى محمد بن ســـيدى (ت. سنة ١٢٧٤ هـــ/١٨٥٨م) فى معركة الركبة[٣٣] من هزيمة تحالف ضم ابـــنَ عمـــه ومنافـــسَه علـــى الإمـــارة ســـيدى علـــى الثـــانى (ت. ســـنة ١٣١٠هـــ/١٨٩٣م) والفرنسيين وحلفاءهم مـــن أهـــل والـــو[٣٤]، بـــرغم أن الفرنسيين – وحسب مصادرهم الأرشيفية ذاتها–[٣٥] رموا بثقلهم فى المعركة ضد خصمهم محمد بن سيدى الذى كان مدعوما – فى هذه المعركة – ماديـــا

ومعنويا بوجود الشيخ سيدى الكبير وتلامذته بالمعسكر، فكانت نتيجة هذه المعركة هزيمة واضحة للفرنسيين وحلفائهم.

وفى إمارة التراررة المجاورة، يؤكد الشيخ سيدى دعمه للأمير التروزى محمد الحبيب فى حربه ضد الجنرال فيدرب الطامح إلى بسط النفوذ الفرنسى بالمنطقة. يقول هذا الشيخ فى رسالة موجهة إلى الأمير: "**هذا وإنه من عبد ربه الغنى به سيدى بن المختار بن الهيبة إلى سيد أقرانه ومقدم أهل زمانه محمد الحبيب بن أعمر بن المختار، نضر الله أيامه، ونصر أعلامه، وأعانه على إقامة الدين**، ومكنه من نواصى أرباب الكفر المعتدين **[...]. وبعد، فإنا نوصيك بتقوى** الله العظيم، واقتفاء سنة نبيه الكريم، ونؤكد **عليك فى الوصية بثلاثة أمور**: أحدها أن تحسن نيتك فى مجاهدتك للكفرة الذين **أنت بصدد مجاهدتهم، بأن** تنوى بمجاهدتك لهم أداء فرض الكفاية **[...]. واعلم أيضا أننا معك بهمتنا** ودعائنا وعنايتنا ورعايتنا فى جميع ما أنت فيه **من نصرة دين الله وإعلاء** كلمة الله وإسفال كلمة الكفر بالله والمعصية..."[٣٦].

ويدعو أجدود بن أكتوشنى هو الآخر، إلى مؤازرة الأمير محمد الحبيب ومواجهة الخطر الفرنسى باستخدام الوسائل العسكرية والاقتصادية اللازمة لمقارعة الأعداء، يقول ضمن قصيدة مطولة فى هذا الموضوع:

حاصر المسلمين جندُ النصارى ... بيد الله أن يزيل الحصارا

[... ... ... ... .....]

أيها المسلمون شدوا عليهم ... انزلوا الزيرة "وانزلوا كنارا"

سارعوا للجهاد بعد التوانى ... اجعلوا خشية الإله شعارا

لا تخونوا إمامكم وانصروه ... إن فى خونه لذلا وعارا

قد دعاكم فلم يزدكم دعاه ... لجهاد العدو إلا فرارا

طالما حاول الجهاد وحيـــدا أوحيدٌ يروم فتح النصـــارى؟

فانصروه ينصركم الله طـــرا اقتلوا المشـــركين والفجـــارا

يا حبيبا أرجف عليهم بخيـــل وبرجـــل يهدّم الأمصـــــارا

وأعدوا من القوى ما استطعتم واشتروا الخيل والقلاص المهارا[٣٧]

ويمضى هذا الشاعر داعما الحصار الذى فرضه الأمير التروزى محمـــد الحبيب على بيع الصمغ العربى للفرنسيين، وهو الحصار الذى تضررت منه بعض القبائل الزاوية التى ينتمى إليها الشاعر نفسه:

لا تُعينوا بالعلك حزب الأعادى أتعينـــــون آثما كفـــــارا

فاقطعوا عنهم الشراء حـــذارا أن يُصروا على الأذى إصرارا

فإذا ما أعنتموهـــم أســـاءوا وأصروا واستكبروا استكبارا[٣٨]

**د- مقاطعة المدرسة الاستعمارية:**

اضطلعت المحظرة بدور متميز فى مجال مقاطعة المدرسة الاستعمارية. فقد رأى شيوخ المحاظر فى التعليم الوافد خطرا يهدد المحظرة فتصدوا لهـــا بكل ما أوتوا من قوة، وأفتى بعضهم بعدم جواز الانتساب إلى هذه المدارس.

وقد استدعى الأمر من السلطات الفرنسية إجراءات قسرية حتى تحـــصل على زبناء ولو قلة للمدرسة الاستعمارية.

وقد استمرت مقاطعة المدرسة الحديثة حتى فى ظل الدولة المـــستقلة؛ لأن هذه المدرسة بالنسبة إلى بعض شيوخ المحاظر ربيبة المدرسة الاســـتعمارية، ولأن برامجها تشمل اللغة الفرنسية وغيرها من المقـــررات التـــى لا يـــسمح الشرع – حسب هؤلاء المشايخ – بتدريسها.

وهكذا فقد اضطلعت المدارس الأهلية فى موريتانيا بالأدوار الآتية:

- **التعليمية:** فقد مكنت المحظرة تلامذتها من تحصيل معارف دينية، وعلمية، وثقافية، وفنية،... إلخ.
- **المهنية:** أكسبت المحظرة طلابها مهارات عملية متجاوزة النظرة التقليدية (الدونية) إلى العمل؛ إذ تتطلب خدمة الشيخ إتقان حرف عدة (حفر الآبار، ورعى المواشى، والطبخ،... إلخ.)
- **الاجتماعية:** مرنت المحظرة التلاميذ على ما يأتى:
  - التعايش والانصهار الاجتماعى.
  - تقوية أواصر اللحمة بين الأعراق المختلفة.
  - التواضع من خلال التفانى فى خدمة الشيخ.
- **السياسية:** أسهمت المحظرة فى مقاومة التوغل الاستعمارى من خلال ما يأتى:
  - عرقلة المهمات الاستكشافية.
  - الدعوة إلى توحيد الجبهة الداخلية ضد التوسع الأوربى.
  - مقاطعة المدرسة الاستعمارية.
- **الحضارية:** حافظت المحظرة على صيانة التراث الحضارى من خلال ما يأتى:
  - الاعتزاز بالثقافة العربية والدين الإسلامى.
  - المحافظة على التواصل مع المحيط العربى والإسلامى.
  - رفض الذوبان فى الحضارة الغازية.

**خامسا : المحظرة ونشر الإسلام والعربية فى أفريقيا الغربية**

كان للمحظرة الموريتانية ولا يزال، إشعاع متميز فى المنطقة عموما، وفى ربوع أفريقيا الغربية على وجه الخصوص، ذلك أن "**سفراء المحظرة**" كانوا يجوبون أصقاع تلك المنطقة، داعين بالتى هى أحسن، ناشرين عقيدتهم الإسلامية ولغتهم العربية بأخلاقهم الفاضلة التى كانت تلاقى رواجا كبيرا فى صفوف السكان داخل البلاطات كذلك؛ إذ "**كان الأمراء الأفارقة الذين يعتنقون الإسلام يتخذون شيوخا من البيضان يعلمونهم أحكام الدين، ويقرئونهم القرآن، ويؤمون بهم الصلاة، ويبذلون النصح للمسلمين**"(٣٩).

وقد تفطن الفرنسيون إلى هذه الأدوار التى يضطلع بها البيضان؛ يقول المستكشف الأب لابات (Le Père Labat) الذى تجول فى المنطقة فى ملتقى القرنين السابع عشر والثامن عشر: "**إن مشايخ البيضان هم الذين نقلوا الإسلام إلى الزنوج، ولذلك كان لهم تأثير قوى فى تلك الشعوب التى تعدهم أساتذة مرشدين فى كل مسألة لها صلة بالدين، وتستشيرهم فى معظم أمورها**"(٤٠).

ويشير الرحالة موليين (Mollien) الذى زار المنطقة فى مطلع القرن التاسع عشر، إلى دور هؤلاء البيضان فى نشر الدين الإسلامى فى أصقاع القارة الأفريقية فيقول: "**إن سرعة نجاحهم** [البيضان] **تجعلنا نفترض أن المبشرين المسيحيين فى رأس الرجاء الصالح، قبل أن يتمكنوا [...] من دخول المناطق الوسطى من القارة الأفريقية، سيلاقون** [هنالك] **مسلمين**" (٤١).

وسيتواصل الحديث عن هذا الدور على امتداد القرن التاسع عشر؛ إذ نجد الرحالتين بول صوليى، وبول بلانشى – اللذين زارا مخيم الشيخ سعد بوه على التوالى سنتىْ ١٨٨٠ و١٩٠٠م – يتحدثان عن إشعاع تلك الشخصية

الدينية البارزة، وما يتوفر عليه ذلك الشيخ من الأتباع الكثر فى مختلف مناطق أفريقيا الغربية(٤٢).

وقد اعترف موليين بمزايا اعتناق الشعوب الأفريقية الدين الإسلامى قائلا: "**إن الديانة المحمدية التى اعتنقتها تقريبا كل الشعوب الأفريقية التى زرتها، قد أنارت عقولهم، وصقلت أخلاقهم وطباعهم، وحطمت فى صفوفهم تلك الممارسات الهمجية التى يحتفظ بها الإنسان فى حالة الوحشية**"(٤٣). ويواصل هذا الرحالة فى السياق نفسه متحدثا عن زنوج المنطقة الذين اعتنقوا الإسلام: "**إن رواياتى تستهدف فى الوقت نفسه البرهنة على أن هؤلاء الزنوج، الذين ننظر إليهم وكأنهم همج، بعيدون عن أن يكونوا محرومين تماما من المعارف. إنهم ليسوا أقل تطورا من معظم سكان البادية فى القارة الأوربية**"(٤٤).

ويؤكد الإدارى الفرنسى بول مارتى (Paul Marty) الذى شغل وظائف سامية فى مستعمرة السنغال انتشار الدعوة الإسلامية فى المنطقة على أيدى الموريتانيين قائلا: "**توجد أعداد مهمة من مشايخ البيضان فى سائر القرى والمدن السنغالية، حيث يسيرون مدارس لتعليم القرآن واللغة العربية، إنهم دعاة أقوياء للإسلام**"(٤٥).

ويشير هذا الفرنسى إلى العلاقة بين التطورات الحاصلة فى السنغال ودعوة شيوخ المحاضر الموريتانية وأئمتها، جازما بسيطرة الموريتانيين الدينية على تلك البلاد؛ **يقول: "إن التحولات السياسية والدينية التى عرفها السنغال فى خلال القرن الثامن عشر مثل ثورة الإمام عبد القادر، وقيام دولة الأئمة على أنقاض مملكة التكرور، واعتناق ملوك والو للإسلام، هى نتيجة لجهود بعثات الدعاة التى كان العلماء الشناقطة يرسلونها إلى المنطقة.. وبصفة عامة فإن الإسلام دخل السنغال وانتشر فيه بفضل المشايخ والعلماء**

**الموريتانيين وأتباعهم، وإنه اليوم خاضع للقيادة الدينية لهؤلاء المشايخ، إما مباشرة وإما بشكل غير مباشر**"(٤٦)

ويشيد أحد الإخوة بالدور الذى اضطلع به الموريتانيون فى نشر اللغة العربية والدفاع عنها فيقول: "**كان للموريتانيين دور لابد أن يذكر فى تعزيز صمود اللغة العربية داخل السنغال.. وقد ظل هؤلاء الموريتانيون بمثابة الدعامة الأساسية التى قامت عليها مختلف خنادق الدفاع عن اللغة العربية أمام الغزوة الاستعمارية** الشرسة"(٤٧).

ويتعجب بول مارتى (وهو من زعماء المدرسة الاستعمارية) من كون الموريتانيين قد تمكنوا حتى خلال فترة السيطرة الاستعمارية من غزو أفريقيا متجاوزين السنغال إلى أقطار عدة من الغرب الأفريقى، برغم الاحتلال الفرنسى المباشر؛ يقول: "**إن مشايخ البيضان قد أقبلوا على غزو أفريقيا فى ظل الاستعمار**، وشملت فتوحاتهم هذه السنغال، وغامبيا، وغينيا، **وساحل العاج، والداهومى**، والسودان (مالى)، **مستغلين ظروف الأمن التى وفرها الفرنسيون**"(٤٨) .

**وبفضل المحظرة أيضا سعى** علماء هذا الإقليم **وفقهاؤه لمد جسور الاتصال مع البيت العربى ودار الإسلام، وحرصوا على صيانة تلك الجسور واستمرارها برغم العراقيل الجمة. وفى هذا النطاق يمكن الإشارة إلى ما يأتى:**

أ – رحلات الحج الشنقيطية: وقد بقيت مستمرة برغم صعوبة الطرق ومخاطرها، وقساوة المناخ، وتخلف وسائل النقل، ووعورة الطرق الموصلة إلى هذا الجزء الهامشى من بلاد الإسلام الواقع فى النواحى الجنوبية الغربية من الصحراء الكبرى، وهو "**بعيد الأطراف، كثير المفاوز، صعب المسالك،**

**كثير المهالك، وفى زاوية الإسلام موضوع، وبعضه خلف البحر مقطوع، فلا فيه راغب، ولا له ذاهب"**(٤٩).

**ب – استجلاب أمهات الكتب والمتون:** كان العلماء الشناقطة حريصين على توفير هذه المصادر شراء أو استنساخا من الحواضر المغربية والمصرية والحجازية. ذلك ما تفطن إليه بعض المستشرقين الفرنسيين من أمثال بول ديبى (Paul Dubié) الذى يقول: "**إن كثيرا من العلماء الموريتانيين يمتلكون مكتبات غنية، ويقوم بعضهم أحيانا برحلات إلى أفريقا الشمالية وإلى الديار المقدسة. وهم يتوفرون على مستوى رفيع فى مجال العلوم الدينية والشرعية**"(٥٠).

**جـ – الدراسة أو التدريس:** كان من دواعى كثير من رحلات طلاب المحاظر الموريتانية وخريجيها إلى المغرب أو المشرق العربيين، فضلا عن تأدية فريضة الحج، السعىُ للاستزادة من العلم، والحصول على الإجازات، حيث درَسوا أو درَّسوا فى بعض الجامعات العربية (فاس، والقرويين، والزيتونة، والأزهر..إلخ).

وليس خريجو المحاظر الموريتانية غرباء على الديار المصرية. ونكتفى هنا بسوق مثال واحد من رموز هذه المحظرة هو الشيخ الشنقيطى محمد محمود بن التلاميد التركزى (ت. سنة ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤م)، وكان من أشهر الشناقطة فى المشرق، وأكثرهم حوارات وخصومات. فحين انتقل من الحجاز إلى القاهرة وجد العلماء الأنداد مثل الشيخ محمد عبده ومحمد توفيق البكرى ورشيد رضا.

وقد توطدت علاقات الشنقيطى على وجه الخصوص بمفتى الديار المصرية الذى رصد له مرتبا من الأوقاف، وأسند إليه مهمة التدريس بالأزهر، وكلفه ببرنامج لإحياء التراث العربى الإسلامى.

وسنفسح المجال أمام نماذج من الشهادات المصرية الدالة المتعلقة بخريج المحظرة الشنقيطية وأستاذها هذا.

يشير طه حسين فى كتابه **الأيام** إلى هذه الفترة من حياة ابن التلاميد قائلا: "**كان أولئك الطلبة الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قط ضريبا للشيخ الشنقيطى فى حفظ اللغة ورواية الحديث سندا ومتنا عن ظهر قلب، وكانوا يذكرون أن له مكتبة غنية بالمخطوط والمطبوع فى مصر وفى أوربا، وأنه لم يقنع بهذه المكتبة، وإنما ينفق أكثر وقته فى دار الكتب قارئا أو ناسخا**"(٥١).

ويسير أحمد حسن الزيات فى السياق نفسه حين يذكر فى مقال له بمجلة الأزهر أن هذا الشنقيطى كان "آية من آيات الله فى **حفظ الحديث والأخبار والأمثال والأنساب، لا يَند عن ذهنه من كل أولئك نص ولا سند ولا رواية**"(٥٢). ويرسم الزيات صورة للأستاذ الشنقيطى لا تخلو من دقة فيقول: "**إنه هيكل ضئيل، وبدن نحيل، ووجه ضامر، ولون أخضر، وصوت خفيض، فمن يراه، أول مرة، لا يصدق أن هذا الجرم قد جاب البر والبحر، وطاف الشرق والغرب، وكافح الأنداد والخصوم، ووعى صدرُه الضيقُ معاجمَ اللغة وصحاحَ السنة ودواوينَ الشعراء وعلمَ الآداب**"(٥٣).

ولقد استدعى الإرث المحظرى، وما أفضى إليه من تمسك قوى بالجذور الحضارية مجهودا مضنيا ويائسا من قبل الفرنسيين المستعمرين الذين سعوا بكل ما أوتوا من قوة لبتر أبناء المحظرة عن تلك الجذور تسهيلا لترويضهم وإخضاعهم؛ إذ "**زجوا بموريتانيا فى أفريقيا الغربية الفرنسية، واتخذوا مدينة سين – لوى السنغالية مقرا لحكومتها، فارضين على هذا الشعب الانبتات عن جذوره**"(٥٤). وذلك حسب تعبير أحد الفرنسيين.

وبرغم ذلك، بقيت صلات الموريتانيين بإخوانهم العرب – بفضل المحاظر – حميمة، وواصلوا تأدية رسالتهم التاريخية فى هذا الجزء من القارة

الأفريقية؛ يقول المستشرق الفرنسى بول ديبى فى هذا السياق: "**إن المراكز الإسلامية** [القائمة على المحظرة] **فى موريتانيا حيوية جدا، فكثير من العلماء** [وهم شيوخ المحاظر] **يمتلكون مكتبات غنية. [...] ولاشك فى أنهم يمثلون بؤرة العروبة والإسلام الأكثر حيوية فى أفريقيا الغربية**"(٥٥) .

**سادسا : التحديات الأساسية**

لقد واجهت المحاظر على مدى تاريخها الطويل نسبيا تحديات، لعل أبلغها تأثيرا فى بنيتها وأدوارها – بعد منعطف الهجرة الأولى من الحواضر إلى البادية – عوامل من أهمها:

١ – **منافسة المدرسة الحديثة:**

فقد ظلت المحاظر قرونا عدة المسئول الوحيد عن تنشئة الأجيال، وعن صياغة المجتمع طبقا لرؤية دينية أطّرها الفقهُ المالكى والمعتقدُ الأشعرى.

وفجأة ظهر التعليم النظامى، وافدا جديدا، تعززه آليات منهجية، ومضمون معرفى، لا عهد للتعليم المحظرى بهما. وإذا كانت المحظرة – بفضل قدرتها التعبوية ومصداقيتها لدى العامة، بوصفها الناطق الرسمى باسم الشرع – قد استطاعت أن تثنى أغلب السكان عن ارتياد المدرسة النظامية فى العهد الاستعمارى بوصفها مدرسة النصارى لغة ومحتوىً؛ فإن التعليم الرسمى قد عرف قفزة مهمة فى ظل دولة الاستقلال، وبدأ يفرض نفسه على شرائح واسعة من الوسط الاجتماعى الخاص عادة بالمحظرة، مبعدا أعدادا متزايدة من الشباب عن ارتياد هذه المؤسسة تحت تأثيرات إغراء المدينة، والبحث عن بدائل لتوفير العيش الكريم، بعد أن تخلخلت قاعدة الاقتصاد الريفى بفعل الجفاف.

٢ – **الجفاف:**

لا شك فى أن الجفاف الذى ضرب المنطقة منذ سبعينيات القرن المنصرم – بما شكلة من خلخلة للبنية الاقتصادية ومنظومة العلاقات الاجتماعية

والقيمية – كان شديد الوطأة على المدارس الأهلية التى هى فى الأساس مؤسسات بدوية، تنتشر أساسا فى الأحياء والتجمعات الريفية، وتعتمد من ثم على تربية المواشى، وما تجود به من لبن ولحم وصوف، وعلى منتوج زراعى مكمل قليل فى أغلب الأحيان، جراء اعتماد الزراعة على الأمطار غير المنتظمة، وتخلف الأدوات والأساليب الزراعية.

وقد تسبب هذا الجفاف الذى أتى على الأخضر واليابس فى نزوح مكتسح من الأرياف إلى المدن الكبرى التى عرفت – جراء ذلك – اكتظاظا ديمغرافيا حادا.

وكان لهذا النزوح السكانى الكبير تأثيره البالغ فى المحظرة التى فقدت أعدادا كبيرة من منتسبيها الفعليين والمحتملين. كما أن الفاقة الكبيرة التى خلفها هلاك الزرع والضرع زادت من تفاقم شأن المحظرة التى لم تستقر قاعدتها فى المدينة بعدُ؛ فلم تعد تحصل على التبرعات "**والأوقاف**" لصالح الطلاب "**المؤبدين**"، كما كان فى السابق؛ وهو مما أفقد شيخ المحظرة فى الأغلب الأعم قدرته المعهودة على الاحتفاظ بهولاء "**المؤبدين**". ولم تعد الأسر قادرة على تجهيز أبنائها لإرسالهم إلى المحظرة بالزاد الضرورى. فكانت النتيجة من كل ذلك أن عرفت أعداد طلاب المحظرة تناقصا حادا، هدد وجودها فى الصميم.

**٣ – الحاجة إلى الاكتتاب:**

وجدت الدولة الحديثة نفسها غداة الاستقلال أمام حاجيات كبيرة تستدعى إطارا بشريا قادرا على سدها فى مختلف الأجهزة الحكومية، وبدت المحظرة جهة مرشحة لتوفير هذا الإطار. وهكذا انخرط المحظريون فى مختلف قطاعات الدولة. وقد قاد تعريب التعليم والقضاء لاحقا أعدادا كبيرة من الأطر المحظرية إلى قطاعات التعليم والعدالة والصحافة... إلخ، فأصبحت موجات

متزايدة من طلبة المحظرة تهاجر باستمرار إلى المدن لتجرب حظها في الامتحانات والمسابقات الرسمية، باحثة عن وظيفة قارة[٥٦].

ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الوضع على المحظرة التي باتت تفقد، وبشكل مستمر، نسبة كبيرة من منتسبيها، قبل أن يكملوا تعليمهم المحظري، ليؤسسوا محاظر جديدة، كما كان سيحدث لو أن الأمور جرت على ما كانت تجري عليه.

**٤ – تغير النظرة إلى التعليم:**

لقد كان لتغير القيم دور لا يمكن تجاهله؛ إذ لم يعد الطالب يتعلم لوجه الله، أو سعيا إلى شغل مكانة اجتماعية مرموقة، كما كان في السابق، وإنما بات التفكير في التحصيل المادي والبحث عن المنفعة المباشرة والكسب السريع أحد محركات الطلبة وحوافزهم. بل إن النزعة المنفعية استفحلت لتطغى أحيانا على بعض شيوخ المحاظر ذاتهم؛ إذ يبدو أن ظاهرة **مؤسسات الجيب** التي نصادف بموجبها منظمات وشركات لا وجود لها خارج ملفات أصحابها، قد بدأت تغزو قطاعات الثقافة والتهذيب، حتى بتنا نجد أحيانا شيوخ محاظر أدعياء لا يتقنون القراءة ولا الكتابة، في حين لا يتورعون عن استجداء العون لمحاظرهم الوهمية حتى من الهيئات والبلدان الأجنبية.

**٥ – انتشار وسائل الاتصال:**

وطبيعي أن تتأثر المدارس التقليدية بالتطورات الحاصلة على الصعيد الدولي. فالثورة التقنية والقفزة المذهلة في مجال الاتصالات والمواصلات؛ كل ذلك أدى إلى تعقد نمط الحياة العصرية وتداخل عناصره، وتزايد الاهتمامات والانشغالات على نحو ربط المدن بالأرياف، وحدّ من عزل هذه المناطق عن العالم الخارجي، كما حدّ من هدوئها، هذا الهدوء وتلك العزلة اللذان كانا من

عوامل التحصيل المحظرى المعتمد على الحفظ والاستظهار؛ فماذا بقى لهذا التعليم إذن من أدوار؟ وهل انتهت الحاجة إليه؟

**سابعا : التعليم المحظرى ودوره فى الظروف الحالية**

إذا كانت العوائق التى تحدثنا عنها أعلاه – من بين عوائق أخرى عدة – تبرز ما يواجه التعليم الأهلى من تحديات جدية تمسّ مقومات وجوده الأساسية؛ فإن ذلك لا يعنى أن هذا التعليم سيتخلى عن إسهامه فى صياغة معارف الناس وسلوكهم فى هذا الزمن العربى الصعب، بل إن التعليم المحظرى بما أثر عنه من مرونة فى الأدوات والأساليب مازال يحتفظ بمخزون ترٍّ يؤهله لخدمة أهداف الاستراتيجية العامة للدولة فى مجال التعليم ومحو الأمية. غير أن نجاح هذا النمط من التعليم – بل بقاءه – يبدو مرهونا بقدرته على التجدد الذاتى معرفيا ومنهجيا. ولكى يتسنى له ذلك يتعين عليه أن يستجيب لجملة من الضرورات، لعل من أكثرها إلحاحا ما يأتى:

**١ – المواءمة بين الأصالة والمعاصرة:**

تواجه المدرسة التقليدية رهانا صعبا، يتمثل فيما يأتى:

- صيانة إرثها التاريخى ومميزاتها الأساسية (حرية المنهج، والمساواة فى طلب العلم، والمجانية).
- المحافظة على الخصائص الثقافية والقيم الدينية للأمة.
- الانفتاح على العصر، والاندماج فى مسار التنمية، والتعامل مع مستجدات الظرفية الدولية بموضوعية وتبصر ومرونة.

**٢ – مراجعة المقررات:**

بات التفكير فى مراجعة المقررات والمناهج والوسائل التربوية، مسألة ملحة، ربما يتوقف عليها مستقبل التعليم المحظرى نفسه. ويمكن أن تشمل هذه المراجعة من بين أمور أخرى ما يأتى:

- العناية بمادة التاريخ الذى كان ينظر إليه تقليديا على أنه "**علم لا ينفع وجهالة لا تضر**".

- البحث عن صيغ ووسائل لدمج تدريس الحساب والعلوم واللغات الحية والمعلوماتية والتسيير والتربية، مواكبة للعصر، وانفتاحا على ما يتجدد من معارف وتقنيات.

**٣ - مراعاة متطلبات سوق العمل:**

تجب العناية بالتكوين العملى، والبحث عن الطرق الملائمة التى تعطى لخريجى المحاظر فرصا أكثر، للحصول على العمل، والإسهام فى عملية التنمية؛ ذلك أن التوازن التقليدى الذى كان يسمح باستيعاب أغلب هؤلاء الخرجين قد اختل، جراء التحولات الجديدة، وغدت المنافسة فى سوق التشغيل أكثر حدة. ففرص العمل المتاحة باتت تتطلب كفاءات وتخصصات ذات مواصفات معينة.

وتجسيدا لهذا المطلب وتماشيا مع مراعاة الظروف الجديدة، أصبح من الملح المواءمة بين مقررات المحاظر وحاجات الدولة، وذلك من أجل توفير مزيد من فرص العمل للخريجين، والحد من أعباء البطالة.

وهكذا ستتمكن المدارس الأهلية التقليدية (المحاظر) من أن توائم بين رسالتها التاريخية ومهماتها المستجدة، وتكون فى المستقبل - كما كانت فى الماضى - أداة من أدوات التنمية، ووسيلة من وسائل توازن المجتمع والمحافظة على القيم الإسلامية السمحة، وما يميزها من تآزر واعتدال ووسطية.

فواقع الأمية الراهن، وما يتمتع به التعليم الأصلى من مصداقية لدى السكان، يجعل المدرسة التقليدية اليوم من أهم الأطر المؤسسية القادرة على

بث المعارف كما كانت بالأمس، وبشهادة الفرنسى أندرى لكورتوا (André Lecourtois) حين قال: "**إنه بفضل المدارس البدوية [المحاظر] ونظامها التعليمى كانت نسبة الأميين منخفضة فى موريتانيا بخلاف بلدان أفريقية وآسيوية عدة**"(٥٧).

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE LA RECHERCHE ET DES ETUDES ARABES
مكتب اتحاد الجامعات العربية

## الهوامش

١ - للمزيد من التفاصيل عن مدلول هذه التسمية وأدوار هذه المؤسسات الثقافية، يمكن مراجعة:

- الخليل النحوى: **بلاد شنقيط، المنارة.. والرباط. عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافى والجهاد الدينى من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)**، تونس ١٩٨٧، ص ٤٨، وما بعد.
- المختار بن حامد : **حياة موريتانيا، الحياة الثقافية**، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٠، ص ١٩٧، وما بعدها.
- ددود ولد عبد الله: **الحركة الفكرية فى بلاد شنقيط خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر** (١٧-١٨م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا فى التاريخ (دكتوراه السلك الثالث)، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٢-١٩٩٣، ص ٧٠، وما بعدها.
- محمدو بن محمدن: **المحاظر الموريتانية (الجامعات البدوية المتنقلة)**، مجلة التاريخ العربى، العدد الثانى والعشرون، الرباط، ٢٠٠٢م، ص ص ٣٣٩-٣٦١.

٢- إبراهيم مصطفى : **المعجم الوسيط**، المكتبة العلمية، طهران، بدون تاريخ، جزآن، مادة حظر .

٣- للمزيد من المعلومات التفصيلية يمكن الرجوع إلى :

- محمد الصوفى ولد محمد الأمين: **المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية فى المجتمع الموريتانى**، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٠٦هـ .
- محمد بن عبد الحى: **المحظرة: ماهيتها، نشأتها، تطورها، بنيتها ومحتواها، وظيفتها**، عرض مقدم إلى ندوة عن المحاظر فى موريتانيا، نواكشوط، يوليو ١٩٩٨م .
- محمد المصطفى ولد الندى: **دور المحاظر فى موريتانيا**، مذكرة تخرج من المعهد العالى للدراسات والبحوث الإسلامية .

٤- ابن جبير: **الرحلة**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م .

٥- أحمد الونشريسى. **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٤٠١هـ، ج٧، ص١٥٦ .

٦- إحدى التسميات التى عرفت بها البلاد الموريتانية دلالة على توسطها بين المجتمعات ذات التنظيم المركزي شمال الصحراء وجنوبها .

٧- من أكثر الأمثلة تعبيراً عن ربط الفقه المحظري بالحياة البدوية كتاب البادية الذى يؤسس لفقه البادية . انظر: الشيخ محمد المامي (ت. سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) : **كتاب البادية**، مخطوط فى حوزتنا صورة منه .

٨- هؤلاء الفقهاء هم : الحضرمي المرادي، وإبراهيم الأموى، وعبد الرحمن الركاز .

٩- نذكر منهم :

- المختار بن حامد: **حياة موريتانيا، الحياة الثقافية**، مرجع سابق .
- الخليل النحوي: **بلاد شنقيط، المنارة والرباط**، مرجع سابق .

١٠- المرجع السابق ، ص ٦٦ .

١١- المرجع والصفحة ذاتهما .

١٢- "**البلاد السائبة**" أو "**بلاد الفترة**" من التسميات المحلية التي أطلقت على البلاد الموريتانية خلال القرون الماضية، وذلك إشارة إلى غياب السلطة المركزية وانتشار الفوضى في هذه الأصقاع. وممن استخدوا هذه التسمية:

- الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت. ١٢٢٦هـ/١٨١١م): **الرسالة الغلاوية**، مخطوط.
- الشيخ سيدي الكبير (ت.١٢٨٤هـ/١٨٦٨م): **الميزان القويم والصراط المستقيم**، مخطوط.
- الشيخ محمد المامي: **كتاب البادية**، مخطوط.

١٣- الناني بن الحسين: **صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن الثامن إلى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي**، أطروحة دكتوراه فى التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٩م، عدد صفحاتها ٧٧١ صفحة .

١٤- النص الفرنسى لهذه المقولة هو :

"Il faut à toute culture un excédent, un surplus économique. La culture est consummation, voire gaspillage", Fernand Braudel, Ecrits sur l'historire, Flammarion, Paris, 1984,p.298.

١٥- يقول ابن خلدون في هذا السياق: "**وقد كسدت لهذا العصر أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه، وانقطاع سند العلم والتعليم**" . انظر: ابن خلدون: المقدمة، دار الجيل، بيروت، د.ت.، ص٤٨٤ .

١٦- الخليل النحوي: **بلاد شنقيط، المنارة.. والرباط**، مرجع سابق.

١٧- محمد مختار بن السعد: **شريبة أو أزمة القرن ١٧ فى الجنوب الغربى الموريتانى**، المعهد الموريتانى للبحث العلمي، نواكشوط، ١٩٩٣م، ص٥٣، (نقلا عن محمد ولد مولود ولد داداه ) .

١٨- المرجع :

Camille Douls, " Cinq mois chez les Maures nomades du Sahara Occidental", Paris, Tour du Monde, I, 1888, pp. 117-224,p.206.

١٩ – المرجع نفسه والصفحة ذاتها .

٢٠- نقـــلا عن : L. Faidherbe, **Le Sénégal et La France dans l'Afrique Occidentale**, Paris, Hachette, 1889, p.45.

٢١- محمذن فال بن متالي: **الديوان** .

٢٢- محمد بن عبد الحي : **المحظرة**، مرجع سابق .

٢٣- انظر :

André Lecourtois, **Etude expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel en Mauritanie**, Entreprises et Développement, 1978, p.32.

٢٤- تقرير من الحاكم الفرنسي العام لغرب أفريقيا إلى وزير المستعمرات الفرنسي يتعلق بمهمة كوبولاني في منطقة الترارزة بالجنوب الغربي الموريتانى (كانون الأول ١٩٠٢م)، الأرشيف الوطني الموريتاني، نواكشوط، الملف EI/8 .

٢٥ – محيي الدين صابر: جريدة الشعب، رقم ١٧٠٢، الصادرة في ١٨ فبراير ١٩٨١م، نواكشوط .

٢٦- انظـــر : André Lecourtois, Etude expérimentale sur l'enseignement islamique, op.cit.

٢٧- المختار بن بونة (ت.سنة١٢١٨هـــ/١٨٠٤م) : **الديوان** .

٢٨- تقرير رقم ٧٩٥، ١٩٣٤/١٠/٠١، الأرشيف الوطني، نواكشوط/موريتانيا، ملف رقم E2/44 . (نقلا عن: الخليل النحوي: **بلاد شنقيط، المنارة والرباط** .. ، مرجع سابق ) .

٢٩- راجع تفاصيل تلك المعلومات فى رحلته :

René Caillié, Voyage à Tombouctou, Paris, 1989, Editions La Découverte.

٣٠- المرجع نفسه .

٣١- راجع ذلك في رحلته :

Henri, Vincent, "Voyage et expédition au Sénégal et dans lans contrées voisines. Voyages dans l'Adrar et retour Saint-Louis", Paris, Tour du Monde, 1860,pp. 17-33et pp. 49-64,p.

٣٢- بئر تقع إلى الشمال من مدينة أبي تلميت التي تبعد حوالي ١٥٠ كم إلى الشرق من مدينة نواكشوط .

٣٣- موضع يبعد حوالي ٥٠كم إلى الغرب من مدينة بوغي عاصمة ولاية البراكنة بالوسط الجنوبي للبلاد الموريتانية .

٣٤- والو : تسمية تطلق أصلا باللغة الولفية على السهل الفيضي الممتد على ضفتي نهر السنغال .

٣٥- بخصوص هذه المعركة وتفاصيلها يمكن مراجعة الأرشيف السنغالي :

Série D: Affaires militaires (1763-1920): Sous Série 1 D: Opérations militaries, Sénégal et Dépendances (1823-1894), Expédition contre les Maures, 1854- 1856 .

٣٦- راجع : رسائل الشيخ سيدي، مخطوط .

٣٧- أجدود بن أكتوشني: الديوان.

٣٨- المرجع نفسه .

٣٩- الخليل النحوي: المنارة والرباط، مرجع سابق ، ص٢٥٩.

٤٠ راجع :

J.B Labat, Le Père, **Nouvelle relation de l'Afrique occidentale,** Paris, Th. Le Gras et G. Cavalier, 1728, 5 vol.

٤١ – انظر :

Gaspard Théodore Mollien, **Voyage dans l'intérieur de l'Afrique et aux sources du Sénégal et de la Gambie, fait en 1818 par ordre du Gouvernement français,** Imprimerie de Madame Veuve Coucier, Paris, 1820,2 volumes, 337 319 p. Deuxième Edition, Paris, 1822, Arthus Bertrand, 2 vol.

٤٢- راجع كلا من :

-Paul Soleillet, **Rapport à Monsieur le Ministre des Travaux Publics sur le voyage de Saint-Louis à l'Adrar,** décembre 1879-mai1880, 154 p., Centre des Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence, Série:Missions, Carton 2: Missions et Voyages(dossier Paul Soleillet).

-Paul Blanchet, **Rapport de mission en Adrar (Mauritanie), 1900, P.36, Centre des Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence, Série:Affaires Politiques, Carton 2711, Chemise n°4., (dossier Paul Blanchet).**

٤٣- راجـــع: G. Th. Mollien, **Voyage dans l'intèrieur de l'Afrique,** op.cit.,

٤٤- راجـــع: G. Th. MOLLIEN, **Voyage dans l'intèrieur de l'Afrique,** op.cit.,

٤٥- راجـــع: Paul Marty, **L'Emirat du Trarza,** Paris, Editions Larose, 1919, p. 17

٤٦- راجـــع: Paul Marty, **L'Emirat du Trarza,** op.cit., pp. 4-5

٤٧- فهمى هويدى: العربى، ربيع هـ.

٤٨- Paul Marty, **L'Emirat du Trarza,** op.cit., p.18.

٤٩- شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦م ص ٢١٦.

٥٠- انظر:

Paul Dubié, **la vie matéirelle des Maures,** Mémoires de l'Institut Français de l'Afrique Noire (I.F.AN.), n°23, Dakar, 1953, pp. 111-252, p., p. 119.

51- طه حسين : المجموعة الكاملة والمجلد الأول: الأيام، دار الكتاب اللبنانى، الطبعة ٢ ، ١٩٧٤م، ص ص ٣٤٣-٣٤٤.

٥٢- أحمد حسن الزيات، "كيف تعرفت على الشنقيطى" مجلة الأزهر، المجلد ٣٣، سبتمبر ١٩٦١م، ص ص ٣٩١-٣٩٥، ص ٣٩٢.

٥٣- أحمد حسن الزيات، "كيف تعرفت على الشنقيطى" المرجع السابق، ص ٣٩٤.

٥٤- راجع: André Lecourtois, **Etude expérimentale sur l'enseignement islamique**, op.cit.

٥٥- راجـــع:. Paul Dubié, **la vie matérielle des Maures,** op.cit., p. 119.

٥٦-لابد هنا من التنويه بالدور المتميز الذى اضطلع به المركز الثقافى المصرى فى نواكشوط فى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى المتمثل فى فتح الباب واسعا أمام طلاب المحاظر، وتوفير الكتب الحديثة لهم، ومساعدتهم على تحضير المسابقات والامتحانات والشهادات.

٥٧- راجـــع: André Lecourtois, **Etude Expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel, op.cit.p. 44.**

## أهم المصادر والمراجع
### أولاً : باللغة العربية


إبراهيم مصطفى : **المعجم الوسيط**، المكتبة العلمية، طهران، بدون تاريخ، جزأن.

ابن الحسين (النانى) : **صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن الثامن إلى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى**، أطروحة دكتوراه فى التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٩٩م.

ابن بابه (محمد فال): **كتاب التكملة فى تاريخ إمارتى البراكنة والترارزة**، تحقيق : أحمد ولد الحسن، تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات – بيت الحكمة، قرطاج، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

ابن جبير : **الرحلة**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م. ابن حامد (المختار) : **حياة موريتانيا، الحياة الثقافية**، الجزء الثانى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٠م.

ابن خلدون (عبد الرحمن): **المقدمة**، دار الجيل، بيروت، د.ت.

ابن عبد الحى (محمد): **المحاضر: ماهيتها نشأتها، تطورها، بنيتها ومحتواها، وظيفتها**، عرض مقدم إلى ندوة عن المحاظر فى موريتانيا، نواكشوط، يوليو ١٩٩٨م.

ابن محمدن (محمدو): **المحاضر الموريتانية (الجامعات البدوية المتنقلة)**، مجلة التاريخ العربى، العدد الثانى و"عشرون، الرباط، ٢٠٠٢م.

طه حسين : **المجموعة الكاملة: الأيام**، المجلد الأول، دار الكتاب اللبنانى الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

الزيات (أحمد حسن): **"كيف تعرفت على الشنقيطى"**، مجلة الأزهر، المجلد ٣٣، سبتمبر ١٩٦١م.

الزركلى (خير الدين): **الأعلام: قاموس تراجم**، دار العلم للملايين، بيروت، المجلد السابع، ١٩٩٠م.

الشنقيطى (أحمد بن الأمين): **الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط**، القاهرة، مكتبة الخانجى، مصر ومكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٦١م.

الشيخ (محمد المامى): **كتاب البادية**، مخطوط.

الشيخ سيدى الكبير (ابن المختار ولد الهيبة): **الميزان القويم والصراط المستقيم**، مخطوط.

الكنتى (الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار) : **الرسالة الغلاوية، مخطوط**، المعهد الموريتانى للبحث العلمى، نواكشوط.

**المحظرة نت :** موقع على شبكة الإنترنت تحت عنوان : المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد): **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم**، ليدن ١٩٠٦م، (http://www.almahdranet.mr).

النحوى (الخليل)، بلاد شنقيط، المنارة.. والرباط، عرض للحياة العلمية **والإشعاع الثقافى والجهاد الدينى من خلال الجامعات البدوية المتنقلة** (المحاضر)، تونس، ١٩٨٧م.

الندى (محمد المصطفى)، دور المحاظر فى موريتانيا، مذكرة تخرج من المعهد العالى للدراسات والبحوث الإسلامية.

ولد السعد (محمد المختار): **شربية أو أزمة القرن ١٧ فى الجنوب الغربى الموريتانى**، المعهد الموريتانى للبحث العلمى، نواكشوط، ١٩٩٣م.

ولد عبد الله (ددود) : **الحركة الفكرية فى بلاد شنقيط خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر** (١٧-١٨م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا فى التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٢- ١٩٩٣م.

## ثانياً : باللغة الفرنسية


BLANCHET (Paul), **Rapport de mission en Adrar (Mauritanie), 1990,** 36 p., Centre des Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence, Série: Affaires Politiques, Carton 2711, Chemise n°4., (dossier Paul Blanchet).

BRAUDEL (Fernand), **Ecrits sur l'histoire,** Flammarion, Paris, **1984.**

DOULS (Camille), **"Cinq Mois chez les Maures nomades du Sahara Occidental",** Paris, Tour du Monde, I, 1888, pp. 117-224.

FAIDHERBE (Louis), **Le Sénégal et La France dans l'Afrique Occidentale,** Paris, Hachette, 1889.

LABAT (Jean Baptiste, Le Père), **Nouvelle Relation de l'Afrique Occidentale,** Paris, Théodore le Gras et G. Cavalier, 1728, 5 volumes.

LECOURTOIS (André), **Etude Expérimentale sur l'Enseignement Islamique Traditionnel en Mauritanie,** Entreprises et développement, 1978.

MARTY (Paul), **L'Emirat du Trarza,** Paris, Editions Larose, 1919.

MOLLIEN (Gaspard Théodore), **Voyage dans l'intérieur de l'Afrique et aux Sources du Sénégal et de la Gambie, fait en 1818 par ordre du Gouvernement français,** Imprimerie de Madame Veuve

Coucier, Paris, 1820, 2 volumes, 337 319 p. Deuxième Edition, Paris, 1822, Arthus Bertrand, 2 vol.

SOLEILLET (Paul), **Rapport à Monsieur le Ministre des Travaux Publics sur le voyage de Saint-Louis à l'Adrar,** décembre 1879-mai 1880, 154 p., Centre des Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence, Série: Missions, Carton 2 : Missions et Voyages (dossier Paul Soleillet).

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE LA RECHERCHE ET DES ETUDES ARABES
مكتب التربية العربي لدول الخليج